المنهج التربوي واثره في البناء الحضاري
دراسة فكرية معاصرة

م.د. محمد حاتم ارحيمه المالكي
alirabab1972@gmail.com
المديرية العامة لتربية الرصافة الثانية

الملخص

بين البحث ان التربية تعنى بإعداد الإنسان إعداداً يتناول كل جانب من جوانب حياته الروحية، والعقلية، والجسدية، وحياته الدنيا، وما فيها من علاقات، ومصالح تربطه بغيره، وحياته الأخرى.

اكد تكمن البحث على ان للعلاقاتُ الإنسانيَّة التي تتعلَّقُ الأفراد تتفاعل في جميع أنواع المجالات، اذ يُشَاهدُ هذا التَّفاعل صفةٍ عامَّة لتنظيمات العمل، و يرتبطُ الأفراد بنوعٍ من البناء والنِّظام الشَّكلي، في سبيل تحقيق هدفٍ مُعَيَّنٍ، من خلال التَّرابط والانسجام والتعاون فيما بينهم.
تكمن اهمية البحث على ان الجهود المبذولة من قِبَل العلماء المسلمين أدّت إلى إخراج نظريات ناجحة في التكنولوجيا والعلوم على مستوى العالم اذ سيطرت الحضارة الإسلاميّة على مجالات العلوم كافة.

ميز البحث الى أنّ التربية وسيلة يملكها الإنسان يمكن أن تحقق التطور الاجتماعي، وتثبت القيم، والمُثُل الأخلاقية.

تطرق البحث الى إنَّ الدِّراسات الَّتي أجراها عُلماء الاجتماع، تثبتُ بما لا يقبل الشكَّ أنَّ الدِّين ليسَ معوِّقاً للتقدُّم الحضاري، بلْ إنَّ جميع الأديان السماويَّة ، تحفِّزُ وتبعثُ وتدعو إلى التطوُّر الحضاري.

خلص البحث الى ان للإسلام حضارةً جامعةً وسيطه، ولها أساسٌ ثابت، إذ أعطتْ حقَّ المرأة، ونظَّمتْ علاقه اليتامى والفقراء، وكرَّمتْ العلم وشرَّفتْ العقل، ولم تنسَ تكامل القلب؛ وهذا الطَّابعُ أعطائها بعداً خاصَّاً في اختلافها مع حضارات الغرب، واختلفتْ معها اختلافاً شديداً.

كلمات مفتاحية: منهج، تربية، بناء، حضارة، انسان.

The Educational Curriculum and Its Impact on Civilizational Construction

A Contemporary Intellectual Study

Dr. Mohammed Hatem Arhimah Al-Maliki

General Directorate of Education, Second Rusafa

Abstract

The research demonstrated that education is concerned with preparing individuals to address every aspect of their spiritual، mental، and physical lives، as well as their worldly life، including their relationships and interests with others، and their afterlife.

The research emphasized that Islamic civilization is the collective effort exerted by Muslim scholars that led to the development of successful theories in technology and science worldwide، and that Islamic civilization dominated the field of science.

The importance of the research lies in the fact that human relations relate to interaction with individuals in all fields. This interaction is generally observed in work organizations، where individuals are bound by a type of structure and formal system in order to achieve a specific goal through interconnectedness، harmony، and cooperation among them.

The research distinguished between education as a means possessed by humans that can achieve social development and establish values and moral ideals. The research addressed the fact that studies conducted by sociologists prove beyond doubt that religion is not an obstacle to cultural progress. Rather، all divine religions stimulate، inspire، and call for cultural development.

The research concluded that Islamic civilization is a comprehensive and mediating civilization with a solid foundation. It granted women rights، regulated relationships with orphans and the poor، honored knowledge and the mind، and did not neglect the integrity of the heart. This character gave it a special dimension، distinguishing it from Western civilizations، and it differed greatly from them.

Keywords: curriculum، education، construction، civilization، human

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الامين وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد..

ان تتطور الامم بتطور العلم يعد مفتاح نهضتها، اذ لا تنهض وترتقي الا بالعلم والمعرفة فلابد ان تتظافر الجهود في كل الميادين وان يكون للعلماء دور بارز في وقف التدهور العلمي في المجتمعات الاسلامية،لذلك نرى ان الحضارة هي ناتج للنشاط البشري في المجالات كافة، والذي نتج منه أساليب الحياة المختلفة، والأنماط السلوكيّة، وولد مناهج مختلفة للتفكير ،فشملت الحضارة الإسلاميّة لمختلف الجوانب الماديّة والمعنويّة ،و كرست نفسها لتسهيل التقدّم والتطوّر.

اذ برزت التنمية البشرية التي تسعى لتحسين حياة الاجيال الحاضرة ويأتي دور الشباب الذين هم عماد وقوة وطاقة المجتمع في مقدمة من يجب اعطائهم الاهتمام الاكبر ودعمهم من خلال تسلحهم بالعلم والايمان لكي تتخذ الامة خطبة مهمة على طريق البناء الحضاري .

و تكمن اهمية البحث على ان النظام التربوية يتفق على ان للاسرة اهمية في تربية أبنائها وأفرادها، ولها دوره كبير، اذ تعد المؤسسة التربوية المؤثرة في حياة الإنسان، وتكوين شخصيته المستقبلية، والتربية في الفكر الإسلامي تتفق مع تلك النظم التربوية في ذلك، ولذا نجدها تولي اهتماماً كبيراً بتكوين الأسر وبنائها في المجتمع.

من أجل ما تقدم اخترنا هذا البحث، محاولا اماطة اللثام عن الموضوع بتجرد كبير، واقتضت خطة البحث تقسيمه على مقدمة ومبحثين وخاتمة، تناولنا في المقدمة السبب من وراء اختيار عنوان البحث، وخصصنا المبحث الاول لتعريف وبيان مصطلحات البحث، وجعلنا المبحث الثاني مخصصا لدور المنهج التربوي في البناء الحضاري وسبل اهميته، واما الخاتمة فقد أوجزنا فيها اهم نتائج البحث، وأخيرًا نسأل الله أنْ نكون قد وفّقنا في رسم صورة واضحة المعالم لهذا البحث الذي قد يُنظر إليه من زوايا متعددة، وأملنا بالله كبير ألاَّ تكون من بينها نظرة سطحية تحكم عليه،واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين.

المبحث الأول: تعريف مفاهيم البحث

تُعد المفاهيم الأساس الذي يتم من خلاله فهم ماهية الأشياء ولذلك نتعرض لها بشيء من التفصيل لكي يتسنى لنا فهم الهيكل العام للموضوع المبحوث في أي إطار كان.

المطلب الاول: المنهج لغة و واصطلاحا

اولا :المنهج لغة : ان المتتبع لكلمة المنهج يجد إنها تدل على الطريق الواضح المستقيم، طريقٌ نَهْجٌ: بَيِّنٌ واضِحٌ، وهو النَّهْجُ [١]، والمنهج :الطريق الوضح، والطريق المستقيم، وطريق نهج : بين واضح[٢].

وطُرُقٌ نَهْجَةٌ، وسبيلٌ مَنْهَجٌ: كَنَهْجٍ. ومَنْهَجُ الطريقِ:وضَحُه. والمِنهاجُ: كالمَنْهَجِ[٣]. وفي التنزيل:" لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً"[٤].

(وأنهج الطريق):وضح وأستبان وصار نهجآ واضحآ بينآ، والمنهاج كالمنهج [٥].

أَنهَجَ الطريقُ: وضَحَ واسْتَبانَ وصار نَهْجاً واضِحاً بَيِّناً؛ وكذلك من نهج الطريق أبانه وأوضحه،ونهجه،أيضا سلكه بايهما قطع [٦].

وقال الراغب[٧] في مفرداته : نهج: النهج الطريق الواضح ونهج الأمر وأنهج وضح ومنهج الطريق الطريق ومنهاجه، ومنه قولهم: نهج الثوب وأنهج بان فيه أثر البلى، وقد أنهجه البلى[٨].

والمنهج : (النهج): الطريق الواضح، والطريق المستقيم [٩].

ثانيا:المنهج اصطلاحا :

"هو وسيلة محددة توصل الى غاية محددة "[١٠].

وقيل ان المنهج :" مجموعة الركائز والأسس المهمة التي توضح مسلك الفرد أو المجتمع أو الأمة لتحقيق الأثار التي يصبو اليها كل منهم"[١].

[١] لسان العرب, جمال الدين ابي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور, حققه عامر احمد حيدر, مراجعة عبد المنعم خليل ابراهيم ، ط ١ , دار الكتب العلمية , بيروت , لبنان , المجلد الثاني , ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، ص٤٤٧.

[٢] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة, بيروت, لبنان, ط٢, ١٩٨٧م,ج١ ص٢١٠. وكذلك ينظر: المصباح المنير, أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ, المكتبة العلمية , بيروت , لبنان , ط٢ ,٢٠١٠م ,ج٢, ص٦٢٧.

[٣] لسان العرب ,جمال الدين ابي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور ، مصدر سبق ذكره، ص٤٤٧.

[٤] سورة المائدة , أية (٤٨).

[٥] لسان العرب , جمال الدين ابي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور, مصدر سبق ذكره, ص٧٢٧.

[٦] مختار الصحاح، محمد بن ابي بكر الرازي ,دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان, ١٤٠١هـ ,١٩٨١م، ص٦٨١.

[٧]هو العلامة الماهر المحقق الباهر ابوالقاسم الحسين بن محمد بن المفضل الاصبهاني الملقب بالرازي صاحب التصانيف. ينظر: سير اعلام النبلاء, شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ،تحقيق: شعيب الارنؤوط و محمد نعيم العرقسوسي, مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ,ط٣ ,١٤٠٥هـ,١٩٨٥م ، ج١٨, ص١٢١.

[٨] المفردات في تفسير القرآن، ابوالقاسم الحسين بن محمد الراغب الاصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي , دار القلم , دمشق- سوريا, ط١, ١٤١٢هـ ,ج١ ، ص٥٠٦.

[٩] القاموس المحيط , مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي, مصدر سبق ذكره، ص٢١٠. كذلك ينظر : المنير في غريب الشرح الكبير,أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري الرافعي, تحقيق: عبد العظيم الشناوي ، دار المعارف القاهرة , ط٢ ,د.ت .ج٢, ص٦٢٧.

[١٠] أصول البحث العلمي وتحقيق النصوص في العلوم الأسلامية، د. محي هلال السرحان ط١, ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، ص٩١.

واذا تتبعنا المعنى اللغوي للمنهج فهو لايختلف عن الإصطلاحي كثيرا بوصفه طريق يسير عليه طالبه والمتمسك به وهو دائما يعبر عنه بالطريق الأفضل والطريق الأقوم والطريق الأوضح واليك استعمال المنهج في القرأن الكريم والسنة المطهرة "وأما استعمال الشارع المقدس لكلمة المنهاج فقد جاء هذا اللفظ للتعبير عن طريق الأنبياء والأئمة عليهم السلام والصالحين بل إستعملها للتعبير عن النبي والإمام والإسلام "[٢].

جاء في قوله سبحانه وتعالى: "وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا "[٣].

وقد ذكر أمير المؤمنين علي عليه السلام فضل الاسلام فقال عنه:

(فهو أبلج المناهج)[٤]. " أبلج المنهاج " أي المنهاج الواضح للاسلام هو التصديق القلبي بالله وبرسوله وبما جاء به، والبراهين القاطعة الدالة عليه، وفي النهج و غيره " فالتصديق منهاجه " وهو أظهر "[٥].

وكذلك ذكر الامام علي عليه السلام أئمة الدين بقوله "أصطفى الله تعالى منهجه وبين حججه"[٦].

وعند وصفه الايمان يقول عنه "سبيل أبلج المناهج "[٧].

وعنه عليه السلام عندما يتكلم في تنبيه الناس من غفلاتهم وحثهم على طريق الهدى والرشاد وإتباع هدي النبي والسير في طريق الإسلام فانه ورد عنه أنه قال: " قد أمهلوا في طلب المخرج وهدوا سبيل المنهج "، وقد علق شارح النهج في حاشية الكلام بقوله المنهج الطريقة الواضحة التي دلت عليها الشريعة[٨].

المطلب الثاني : مفهوم التربية

اولا:التربية لغة:مصدر للفعل ربَّى يربّي ربِّ تربية، والفاعل مُربّي، والمفعول مُربَّى يقال : ((لك نعمة تربُّها)) أي تحفظها، وتراعيها، وتربيها كما يربي الرجل ولده، ويقال : رَبَّيتُه، وتربَّيتُه بمعنى

[١] مجلة البحوث الأسلامية , الشيخ عبد الرزاق عفيفي , العدد ٥٨, سنة ١٤٢٠هـ، ص١٣ .

[٢] المنهاج الواضح الأجتهاد والتقليد السيد محمود الحسني,ط٤، ٢٠٠٩م, ص٧.

[٣] سورة المائدة ، اية: (٤٨).

[٤] نهج البلاغة ، عباس الموسوي ، الجامع له الشريف الرضي ، دار الهادي للطباعة والنشر،١٤٣٠هـ,٢٠٠٩م ص٢١٩.

[٥] بحار الانوار ,المجلسي, تحقيق: السيد إبراهيم الميانجي و محمد الباقر البهبودي,ط٣, ١٤٠٣هـ , ١٩٨٣ م، ج٦٥ ، ص٣٦١.

[٦] نهج البلاغة، عباس الموسوي ، مصدر سبق ذكره، ص٣٢٨.

[٧] المصدر نفسه، ص٣٣٦.

[٨] نهج البلاغة ، صبحي الصالح ، ط٤ ، مطبعة وفا ،١٤٣١هـ، ص١٢٥.

غذوته ؛ لأنه إذا رُبّي نما، زكى، وزاد [١]، والصبيَّ رباه إذا أحسن القيام عليه، ووليه إلى ان يفارق الطفولة سواء أكان ابنه أم لم يكن [٢].

وربَّى الأبُ ابنه : هذبَّه، ونمَّى قواه العقلية، والجسدية، والخلقية كي تبلغ كمالها [٣].

ومنه الرب[٤] وهو على ثلاثة معاني : المالك، والسيد المطاع والمصلح وهو من الربوبية [٥].

[٥].

والمربي على قسمين : أحداهما أن يربي شيئاً ليربح عليه المربّي والثاني أن يربيه ليربح المربَّى،وتربية كل الخلق على القسم الأول ؛ لأنهم إنما يربون ليحرزوا ثوابا أو ثناءً، والقسم الثاني هو الحق سبحانه فهو يربي، ويحسن لنربح نحن لا ليربح هو[٦].

ثانيا التربية اصطلاحا:

يرى كثير من المختصين بمجال التربية أنَّ مصطلح التربية لايخضع لتعريف بعينه، وذلك بسبب العملية التربوية من جانب، وتأثرها بالعادات، والتقاليد، والقيم، والأديان، والمذاهب، والأعراف، والأهداف من جانب آخر هذا بالإضافة إلى تطورها، وتغيرها بحسب الزمان، والمكان ؛ لأنها تتسم بخاصية النمو، والتكرار [٧].

ولهذا نجد أن المفهوم الإسلامي للتربية يختلف عن غيره في إثبات مرجعية شرعية للتربية من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، واعتماد دور العبادة في التربية، وأن التربية في المفهوم الإسلامي تستهدف جميع نزعات الإنسان الفردية، والاجتماعية، وتستهدف الحياة الدنيا والأخرى معاً في حين أن التربية في المفاهيم الأخرى نجدها قد أهملت هذه الجوانب جزئياً وكلياً [٨].

وتعرف التربية بانها : ((عملية يؤخذ فيها الناشئون من أبناء الأمة الإسلامية بألوان من الأنشطة الموجهة في ظل القيم والمثاليات والمبادئ الإسلامية؛ لتعديل سلوكهم، وبناء شخصياتهم على

(١) ينظر : معجم مقاييس اللغة , لابن فارِس : ٤٠١/٢ مادة (ربى) , ولسان العرب, لابن منظور: ١٥٤٧/٣ مادة (ربب) .

(٢) ينظر : تاج العروس من جواهر القاموس , للزَّبيدي : ٤٦٤/٢ مادة (ربب) .

(٣) ينظر : المعجم الوسيط , لنخبة من العلماء د. إبراهيم مصطفى وآخرون : ١/ ٣٢٦ باب الراء مادة (رباه) .

(٤) وقد تناول القرآن الكريم لفظ الرب وبرز من معناه سواء فيما يتعلق بالملك والتصريف , أو التعهد بالإصلاح , أو التربية , أو التشئة , أوالكفالة . ينظر : دعاة لا قضاة , لحسن الهضيبي : ٣٢ – ٣٣ .

(٥) ينظر : الصحاح , للجوهري : ١ / ١٣٠ مادة (ربب) .

(٦) ينظر : مفاتيح الغيب , للإمام الرازي : ١ / ١٩٩ .

(٧) ينظر: مدخل إلى التربية الإسلامية , لعبد الرحمن الغامدي : ٣.

(٨) ينظر : بحوث في التربية الإسلامية , لعبد الرحمن النقيب : ٤٤ , والتربية الروحية , لعلي عبد الحليم محمود : ١٨ – ٢٠ .

النحو الذي يجعل منهم أفرادًا صالحين نافعين لدينهم، وأنفسهم، ووطنهم، وأمتهم الإسلامية، والبشرية كلها)) [١] .

أو : ((هي التي تعنى بإعداد الإنسان إعداداً يتناول كل جانب من جوانب حياته الروحية، والعقلية، والجسدية، وحياته الدنيا، وما فيها من علاقات، ومصالح تربطه بغيره، وحياته الأخرى، وما قدم لها في حياته الدنيا من عمل فيجزى عليه فينال رضى ربه، أو غضبه)) [٢] .

كما وعرفت بأنها : ((تنشئة الإنسان شيئاً فشيئاً في جميع جوانبه ابتغاء سعادة الدارين على وفق المنهج الإسلامي)) [٣] .

والذي يبدو لي أنَّ المصطلح الأخير هو الأولى من بين التعريفات الأخرى لأنه شامل لكل ما يتعلق بجوانب الإنسان المختلفة الدنيوية، والأخروية ؛ ولأنه يتمشى مع العملية التربوية تدريجياً محدداً النظام الذي تسير على وفق منهجه العملية التربوية .

المطلب الثالث :الحضارة لغة واصطلاحاً .

أولاً : الحضارة لغة : الإقامة في الحضر، والحاضرة والحضرة والحضر، هي المدن والقرى والريف، سميت بذلك ؛ لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بإقرار، وحضرة الرجل قربه وفناؤه ثم شاع استخدامها في العصر الحديث للدلالة على مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي[٤].

وبما ان الحضارة معناها الاقامة في الحضر، والبادي المقيم في البادية وبهذا المعنى استعملها القطامي الشاعر في قوله مفتخراً ببداوة قومه، مستخفاً بساكني القرى والمدن.

فمن تكن الحضارة اعجبته فأيّ رجال بادية ترانا.

ثانياً : الحضارة اصطلاحاً : تعدّدت تعريفاتها لاختلاف المدارس الفكريّة فقيل : هي عبارة عن مجموعةٍ من العقائد والمبادئ المنظِّمة للمجتمع، وتمثل ناتج النشاط البشري في مختلف المجالات كالعلوم والآداب والفنون، وما ينجم عن هذا النشاط من ميول قادرة على صياغة أساليب الحياة المختلفة، والأنماط السلوكيّة، والمناهج المختلفة في التفكير[٥].

وفي العصر الحديث عرفت الحضارة بأنّها نظام اجتماعيٌّ يساعد الأفراد على رفع مُعدّل إنتاجهم الثقافي، وأن نقطة البداية للحضارة هي نقطة انتهاء الاضطراب والقلق،وانها مكوّنة من أربعة عناصر أساسيّة ألا وهي النُظُم السياسيّة، والموارد الاجتماعيّة، والتقاليد الخلقيّة، وأخيراً متابعة

(١) التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها , لعاطف السيد : ١٨ .

(٢) وسائل التربية الإسلامية عند الإخوان المسلمين , لعلي عبد الحليم محمود : ١٩.

(٣) أصول التربية الإسلامية , لخالد حامد الحازمي : ١٩ .

[٤] ابن منظور، لسان العرب، ٢٧٤/٥.

[٥] عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب ومن عاصرهم، ط٢، دار الفكر، بيروت، ٢١٦/١ ٢١٦/١

العلوم والفنون، لانه اذا امن الانسان من الخوف تحررت في نفسه دوافع التطلع عوامل الانتاج الابداعي[١].

وقد نشأت الحضارة من تفاعل الثقافات والأعراق المختلفة التي تنتهي جميعها في تشكيلها، ويمكن القول إن الحضارةَ لا ترتبط بعرقٍ معين، أو جنس مُحدّد، أو شعب من الشعوب، إلّا أنه يمكن أن تُنسبَ الحضارة إلى منطقةٍ جغرافيّة من العالم، أو أُمةٍ مُعينةٍ من الأُمم[٢] .

ووصفت الحضارة بانها كائن عضوي طبيعي، ينشأ فينمو ثم يزدهر فيشيخ حتى يلحقه الفناء،وفي الآونة الاخيرة ظهر مفكرون امثال صموئيل هنتكتون وفرنسيس فوكوياما وصوروا الحضارة باعتبارها مجموعة عناصر مشتركة كاللغة والتاريخ والعادات والدين كما انها تعد عنصراً ذاتياً او تميز الذات[٣].

المطلب الرابع: مفهوم الحضارة الإسلاميّة

شيد الفكر الاسلامي الحضارة وأرسى اساسها، وبما ان الحضارة هي ربانية انسانيّة تشمل كافة جوانب الحياة، اذتعود إلى العلم الذي جاء به الرسول " صلّى الله عليه واله وسلّم " وقد استفادت حضارتنا من مختلف الحضارات السالفة في نشأتها وتفوقت عليها، فرفعت من شأن الحرية، الشورى، والمساواة، والعدالة، وهي حضارة نتجت من تفاعل مجموعة الثقافات للبلدان التي دخلت في دين الإسلام، كما أنها خلاصة تفاعل الحضارات الموجودة في المناطق التي وصل إليها الإسلام أثناء الفتوحات الإسلاميّة[٤] .

وتعد الحضارة الإسلاميّة لمجموعة الجهود المبذولة من لدن العلماء المسلمين و أدّت إلى إخراج نظريات ناجحة في التكنولوجيا والعلوم على مستوى العالم وسيطرت الحضارة الإسلاميّة على مجال العلوم منذ القرن الثّالث للهجرة حتّى القرن الخامس للهجرة [٥]، كما شملت الحضارة الإسلاميّة مختلف الجوانب الماديّة والمعنويّة وكرست نفسها لتسهيل التقدّم والتطوّر؛ حتّى قيل فيها إنه لا توجد حضارة في الوجود قدّمت للبشرية ما قدّمته الحضارة الإسلاميّة [٦].

[١] ويل ديورانت: قصَّةُ الحضارة، ط١، ترجمة: زكي نجيب محفوظ، دار الجِيل للطِّبع والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، ٢٠١٠، ٤٣/١.

[٢] سيد قطب: معالمٌ في الطَّريق، ط٦، دار الشَّروق، القاهرة، ١٣٩٩هـ، ص١٠٥

[٣] كريم جبر الحسن: عمليَّة النَّهوض الحضاري، ط١، دار الهادي، بيروت، ١٩٩٣، ص٣٠

[٤] يُنْظَرُ؛ محمَّد سعيد رمضان البوطي: منهجُ الحضارة الإنسانيَّة في القُران، ط١٢، دار الفكر المعاصر، دمشق، ٢٠٢٠، ص١٩

[٥] اثر التكامل المعرفي في بناء العملية التربوية التعليمية، عمار باسم صالح، مجلة كلية العلوم الاسلامية،بغداد،٤٠، ٢٠١٦.

[٦] ينظر: أبو زيد شبلي: تاريخ الحضارة الإسلاميَّة والفكر الإسلامي، ط٥، مكتبة وهبة للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، القاهرة، ٢٠١٣، ص١٣.

والحضارة في فكر ابن خلدون :تمثل التفنن في الترف، واستجادة احواله والكلف بالصنائع التي تؤنق من اصنافه، وسائر فنونه من الصنائع المهنية للمطابخ او الملابس او الفرش او الانية ولسائر احوال المنزل، وقال: الحضارة احوال عادية زائدة للضرورة من احوال العمران و زيادةً للتفاوت بتفاوت الرفة وتفاوت الامم في القلة والكثرة تفاوتاً غير منحصر، ويرى انها تقع فيها عند كثرة التفنن في انواعها واصنافها فتكون بمنزلة الصنائع ويحتاج كل صنف الى القومة عليه والمهرة فيه وبقدر ما يتزيد من اصنافها تتزيد اهل صناعته[١].

اما ابو الاعلى المودودي فقد اوسع فيها فبين ان لكل نظام متكامل يشمل ما للانسان من افكار واراء واعمال واخلاق في حياته الفردية او العائلية او الاجتماعية او الاقتصادية او السياسية.[٢].

المبحث الثاني

اهمية المنهج التربوي في اثراء البناء الحضاري

وفق المنظور الاسلامي المعاصر

المطلب الاول: الاهمية المنهجية للتربية في الدور الحضاري للأمم

إنّ الإسلام – كسائر الرسالات السماوية – تعتمد في الاصلاح العام على تهذيب النفس الإنسانية قبل كل شيء، ويكرّس جهوده وطاقاته للتغلغل إلى أعماقها، وغرس تعاليمه في جوهرها إلى أن تصبح جزءً منه ؛ ذلك لأنّ موضوع هذه الرسالات هو النفس الإنسانية فهي محورها، وقطب رحاها الذي تدور عليها، وكان السعي وراء إعدادها، وإصلاح برنامجها الأساسي للحفاظ على سلامة الأفراد والجماعات ؛ ذلك أنّ النفس المختلة تسبب الفوضى العارمة في أنظمة الحكم، وتستطيع النفاذ منه إلى مآربها الدنيئة، وفي مقابلها النفس الكريمة التي يشرق نبلها – عندما يسوم تلك الأنظمة اختلال – بحسن التصرف والسير وسط الأنواء والأعاصير، ومن هنا كان للإصلاح النفسي أهمية كبيرة، والدعامة الأولى لإرساء الخير في هذه الحياة ؛ فإذا لم تصلح النفوس ضلت الإنسانية، وسادت الفتن حاضرَ الناس ومستقبلهم [٣]، قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ﴾.

ولأنّ الله لم يكلّف البدن، ولم يكلّف الروح، وإنّما كلّف النفس التي تنشأ عن طريق اتّصال البدن بالروح .. فحين تتصل الروح بالمادة (البدن) تنشأ الحياة، ومن نشأة الحياة تنشأ نزعات الجوارح، فالعين تنزع لأن ترى، واللسان ينزع لأن يتكلّم، وكلُّ جارحة من الجوارح تتجه لمطلوبها

[١] ابن خلدون،١٨.

[٢] المودودي٢٣٧.

([٣]) ينظر : خلق المسلم , لمحمد الغزالي : ٢٠ – ٢١ .

من الحركة، ولكن مطلوبات الجوارح شتى ؛ لأنّ كلّ جارحة تتطلّب ما يسعد النفس، ولكن ما يسعد مرّة قد يشقي مراراً !! [١] .

ولذلك يضع الحق منهجاً لحركات هذه الجوارح حتى لا تحمق في أن تتجه إلى شيء تعتبره حسناً ثمّ تشقى بآثاره ؛ فإذا استقبلت النفس الإنسانية منهج خالقها بـ (افعل ولا تفعل) استراحت كل مكانها وتساندت لأداء مهمة الخلافة الصالحة، وإذا انطلقت الجوارح، وانفلتت بلا ضابط، ولا رابط عربدت في الكون، ويكون من سعادة واحد شقاء لكثيرين، وسيشقى هو بسعادة غيره بما يؤلمه !! [٢] .

وإنّ مفهوم التربية النفسية، وتزكيتها يشمل النفس والعقل والجسم معاً ؛ فالإسلام كما يطالب بصحّة الأبدان، فقد دعا إلى الحفاظ على السمع والبصر والفؤاد [٣] قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [٤] .

وممّا يلاحظ أيضاً حول أهمية التربية النفسية بإصلاحها وتزكيتها ما ذكره الإمام ابن عاشور [٥] في كتابه النفيس (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) عند بيان الغرض والدافع من تأليف هذا الكتاب، وهو يتحدّث عن الدين وتعاليمه، حيث قال : ((فالدين مجموع تعاليم بريد شاركها أن تصير عادة وخلقاً لطائفة من الناس، لتبعث فيهم الفضائل، والإحسان لأنفسهم، وللناس، وأهم هذه التعاليم محاسبة المرء نفسه في سلوكها)) [٦] .

فالنفس الإنسانية إذن تحتاجُ إلى تربية مستمرّة، وتذكرة مستديمة، ووعظ هادف وموَجَّه، ودعوة صادقة، ولهذه التربية المنشودة مجالان أساسيان، وجانبان مهمّان ينبغي دراستهما ومعرفة دورهما في إنشاء وإعداد الإنسان إعداداً متكاملاً متوازناً، وهما الجانب الخلقي، والجانب العملي ؛ وذلك لأنّنا نؤمن أنّ التربية وسيلة يملكها الإنسان يمكن أن تحقق التطور الاجتماعي، وتثبت القيم، والمُثُل الأخلاقية، ولكي يتحقّق ذلك الأمر فلا بدّ من تحويل ما هو ظاهر إلى ما هو باطن، وبمعنى آخر : تحويل المظاهر الخارجية الصحيحة إلى عقيدة إيمانية، وذلك بتحلية النفس

(١) ينظر : النفس في القرآن , لأحمد عمر هاشم : ٧ .

(٢) ينظر : اثر التكامل المعرفي في بناء العملية التربوية التعليمية، عمار باسم صالح، مجلة كلية العلوم الاسلامية،بغداد،٤٠،٢٠١٦..

(٣) ينظر : بناء المجتمع الإسلامي , لنبيل السمالوطي : ١٣٥ .

(٤) سورة الإسراء , الآية : ٣٦ .

(٥) وهو محمد الطاهر بن عاشور ولد بتونس عام (١٨٧٩م) الموافق (١٢٩٦هـ) , وكان شيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس انتخب رئيساً للمفتين على المذهب المالكي وحصل على لقب شيخ الإسلام (عام ١٩٣٢) وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. له مصنفات كثيرة مطبوعة،من أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) و (التحرير والتنوير) في تفسير القرآن وغير ذلك توفي بتونس بلده سنة (١٩٧٣م) الموافق (١٣٩٣هـ) . ينظر الأعلام , للزركلي : ٦ / ١٧٤ .

(٦) ص : ٨ .

بالفضائل، وتخلّيتها من الرذائل، علماً أنّ ذلك لا يتمُّ إلاّ بالتحلي بالإيمان أولاً، وما تتبعه من قيم عليا، حتى لا يؤدي ذلك نحو التفكك والانحلال في وحدة الأمة وأفرادها [١] .

إذن فالتربية النفسية هي العامل والوسيلة التي من خلالها ننشىء جيلاً يتحلى بمكارم الأخلاق وفضائلها، وعلى هذا فلابد من أيضاح هذا الأصل العملي، ونربطه بالعلاقات الإنسانية، وعلاقة الإنسان بربّه، فليست الأخلاق مجرد برنامج دراسي يعتمد فيه على التلقين، والمواعظ الجافة، والموضوعات المكررة دون أن يكون لها نفع في الحياة العملية والعامة وإنما التربية تقوم على الارتباط بالواقع [٢] .

ولمزيد من التوضيح نلحظ أنّ هناك حياة للجسد قبل حلول الروح فيه، وأنّ هناك نفساً للإنسان هي أثر مجموعة العوامل الفزيولوجية، والبيئية في الجسد بعد وجود الروح، وأنّ هناك عقلاً للإنسان ينظم قضية هذا الجسد، وأنّ للروح تعلّق به، فكان حلول الروح في الجسد يبدأ بالتأثر بالعوامل الفزيولوجية، والجسدية المختلفة ؛ فتُأثّر عوامل الشهوة، والغضب فيها ؛ ويبدأ الصراع حينئذ فإمّا يتغلّب الإنسان على ذلك بسلوك الطريق الصحيحة الموصِلة ؛ فيرقى، أو تغلبه تلك العوامل فيهبط [٣].

والسؤال الذي نطرحه هو كيف يستطيع ذلك الإنسان الذي تتجاذبه غرائزه، وآماله أن يعيش بسلام ؟ فغرائزه تشده إلى الأدنى، وآماله ترقى به إلى الأعلى ؟ .

ولكي نجيب على ذلك لا بدّ من التعريف بحقيقة هذه النفس، وكما بيّنها صانعها وخالقها في قرآنه الكتاب الخالد، والذي أظهرَ للإنسان مكمنه وسِرّه، وأبان له خلائقه وطبائعه على أتمِّ وجه، وأكمله، ووصفها بما هي عليها سلباً وإيجاباً[٤] قال تعالى : ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ﴾ [٥].

[٥].

انه ومن غير الملحوظ جداً لمن ينظر في كتابات الفكر التربوي الإسلامي يجد نفسه أمام جمهرة كبيرة متشعبة في تحديد منظور أو مفهوم متفق عليه، لكن هذا في الحقيقة لايؤثر على جوهر، ولب المسألة لأن العملية القائمة لها ثوب واحد متعدد الألوان [٦] .

(١) ينظر : التربية النفسية , لحسن شرقاوي : ٢٥ – ٢٧ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه : ٢٧ – ٢٨ .

(٣) ينظر : تربيتنا الروحية , لسعيد حوى : ٣٨ .

(٤) ينظر : القرآن رؤية تربوية , لسعيد إسماعيل علي : ١٨١ . ومجتمع الفضيلة الأخلاق في الإسلام , لمرسي محمد منير : ٦٤ .

(٥) سورة الإسراء , الآية: ٢٥ .

(٦) ينظر : أسس التربية , لعبد الكريم اليماني : ٣٩٤ .

نجد ان المفاهيم التي يرتبط بعضها ببعض في إطار فكري واحد يستند إلى المبادئ والقيم التي أتى بها الإسلام، والتي ترسم عددًا من الإجراءات والطرائق العملية يؤدي تنفيذها إلى أن يسلك سالكها سلوكًا يتفق وعقيدة الإسلام [١].

وإذا كان قد تقرر ذلك فهذا مما لاشك فيه يسهل علينا عملية الولوج إلى حقيقة الأمر ما دام بالإمكان الوصول إلى المعنى بأي مصطلح يستخدم حتى لو كان بعيدا أو له مضامين أخرى لاعلاقة لها في مجال الفكر التربوي الإسلامي هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجد أن علماء الفكر التربوي اختلفوا في تحديد اهمية مفهوم التربية لبناء حضاريا معاصر وقد تم أجمالها فيما يأتي :

الرأي الأول : تحديد المفهوم فيما يخص مسألة التعليم، وحصرها فيه، غير أن هذا ليس بسديد على أن مسألة التعليم شديدة الارتباط مع التربية ؛ ذلك لأن التعليم يعد جزءاً من مكونات العملية التربوية وليس كلاً لها إذ يعتبر التعليم إحدى الوسائل التربوية المهمة في قيام العملية التربوية، بل إن عملية التعليم إذا زالت عنها سمة التربية أصبحت مجرد حشو، وتكديس للمعلومات لاتفيد في تشكيل الشخصية، ولا في تعديل مسارها المرغوب عنها [٢] .

الرأي الثاني : تخصيصها فيما تحتويه العملية التربوية كمادة حيث توضع المناهج الخاصة بالتربية كحصة دراسية مثل الفقه، والعقيدة، والقرآن، والتفسير، والحديث [٣].

الرأي الثالث : عدم تحديدها بحد، أو تأطيرها بإطار معين، وجعلها عامة في كل ما يهم المسلمين جميعهم باعتباره يعالج موضوع التربية على أساس أنه معالجة للفكر التربوي الإسلامي فهي بذلك أشمل من جميع الاتجاهات التي ذكرنا لكونها تربط الإنسان بالكون، والحياة جميعا[٤].
جميعا[٤].

والذي يبدو لي أنَّ هذه النظرة الأخيرة تتلاءم مع الفطرة الإنسانية السليمة، وتتواءم مع مبادئ الإسلام، ومسلماته، وثوابته، وقيمه إذ إن تحديد مفهوم التربية في ما يتعلق بالمنهج الدراسي فحسب أعني المواد الدينية كالفقه، والتفسير، والعقيدة، وغيرها يجعله خاصاً بهذه المواد فقط من دون أي تعلق مع بقية العلوم الأخرى المكملة لها.

ومما لاشك فيه أن هذا حجْر، وتضييق، ولايتصور مثل هذا الشيء إلا في أولئك العلماء الذين تأثروا بالفكر الغربي المهتم بمثل تلك التخصصات الضيقة[٥].

[١] نحو تربية إسلامية , لحسن الشرقاوي : ١٠ .

[٢] ينظر : أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية , لمحمد عطية الأبراشي : ٩ .

[٣] ينظر : التربية النفسية في المنهج الإسلامي , لحسن الشرقاوي : ٩ .

[٤] ينظر : التربية النفسية في المنهج الإسلامي , لحسن الشرقاوي: ١٠ .

[٥] ينظر : نحو تربية إسلامية , لحسن الشرقاوي : ٩ – ١٠ .

وأخيراً فإن مفهوم التربية الإسلامية يتلخص في صياغة الفرد صياغة حضارية، وإعداد شخصيته إعداداً شاملاً متوازناً من حيث العقيدة، والذوق، والفكر، والمادة ؛ ليتحقق إيجاد الفرد الذي يكوّن الأمة الوسط، وبذلك يصبح المسلم منذ طفولته، وعبر شبابه، وكهولته صاحب رسالة كل حسب موقعه ومركزه، ويحرص كل الحرص على إتقان ما يعلمه الإبداع فيه ؛ لتزويد أمته دائما بالمبتكر والجديد ؛ إستجابة لأمر الله في وجوب الإعداد الدائم ما استطاع من مظاهر القوة المتنوعة، ومن جهاد شامل على أصعدة الحياة كلها [١] .المطلب الثاني: دور الانسان في البناء الحضاري وفق المنظور الاسلامي

من المسائل الَّتي كثُرَ الجَّدلُ بخصوصها؛ هي الدَّورُ الَّذي يمكنُ أَنْ يقومَ به الدِّين في صُنعِ الحضارة البشريَّة، إذ اختلفتْ اتِّجاهاتُ المفكِّرين والفلاسفة في ذلك. ولذا؛ فهناكَ اتِّجاه ينكر أَنْ يكونَ للدِّينِ دورٌ حقيقيٌّ جديٌّ فاعلٌ في صُنع الحضارات. وهناك اتِّجاهٌ آخرٌ؛ يذهبُ إلى أنَّ دورَ الدِّين سلبيّ يؤثِّرُ بطريقةٍ سلبيَّةٍ، في سير وحركة الحضارة. والفرقُ بينَ الاتِّجاهِ الأوَّل وبين الاتِّجاه الثَّاني؛ هو أنَّ الاتِّجاه الأوَّل، ليسَ له موقف سلبي من الدِّين؛ وإنّما يرى أنَّ الدِّين لا يدخلُ كعنصرٍ من العناصر الأساسيَّة في صُنع الحضارة[٢].

بينما يذهبُ الاتِّجاه الثَّاني، إلى إنَّ الدِّين له أثر تخريبي، ومعيق في صُنع الحضارة. وهناك اتِّجاهٌ ثالثٌ يعتقدُ بالدَّور الإيجابي للدِّين. غير إنَّ الاتِّجاه اختلفتْ مدارسه، في تحديد ذلك الدَّور سعةً وضيقاً، وقد اختلفتْ – أيضاً– في نمطيَّة هذا الدور، ولا زالتْ إشكاليَّةُ الثِّقة بقُدرةِ الفكر الدِّيني، في تكريس النَّمط الحضاري المطلوب، مستحكمة عند طبقاتٍ عريضةٍ من المُجتمعات البشريَّة، إذ إنَّ هذه الإشكاليَّة مع من قِدَمِها؛ إلَّا إنَّها تمثَّلُ تعاطياً تقليديَّاً درجتْ عليه البشريَّة منذُ أمد بعيدٍ.

ولذلك كانتْ "بعثةُ الأنبياءِ، وتنزيلُ الكُتبِ؛ نابعةً من هذا الشَّكلِ من التَّعاطي. غير إنَّ هذه الشُّبهات أخذتْ مناحٍ جديدةٍ بعد تخطِّي الفكر الدِّيني مُجْمَلَ الإشكالات التقليديَّة، الَّتي ميعت ببركةِ تكامل الشَّرائع، الَّتي وصلتْ إلى أوجِّ مستويات النَّضوج في مرحلة النبوَّة الخاتمة"[٣].

وبناءً على ذلك نجدُ – بأدنى تدقيقٍ– أنَّ الإسلامَ قد بدأ الانتاج الفكري– العلمي باكراً؛ وذلك "منذُ القرن الأوَّل الهجري، أي منذ اللَّحظة الَّتي بدأ فيها تكوين المجتمع الإسلامي، في مُنتصف القرنِ الهجري الأوَّل. فهذا المُجتمع؛ قد تكوَّن من بيئاتٍ شتَّى، وثقافاتٍ مختلفة، وألسنةٍ متباينة؛

([١]) ينظر : الإسلام والتنمية الإجتماعية , لمحسن عبد الحميد : ١٣٢ .

[٢] عقيدة الاستخلاف واثرها في الحفاظ على الملكية في الفكر الاسلامي،د.عماريباسم صالح،اسماء عبد الجبار،مجلة كلية العلوم الاسلامية/بغداد/٤٢/٢٠١٥/٣٩٨-٤٢٩

٣- عدنان حسَّاني الرَّميثي: الفكر الشِّيعي في مواجهة الاتِّجاه التعدُّدي، ط١، دار الكفيل، نشر: مكتبةُ أهل الحقّ، النَّجف الأشرف، ٢٠١٤، ص١٨.

فأصبح في الواقع مقرَّاً لاتصال أصحاب المدارس العديدة، ولاقحَ أفكارها، بعد أَنْ كانتْ قبله مفصولة بعضها عن بعض"[١].

وممَّا تقدَّم يتَّضحُ أنَّ الدِّين الإسلامي كانَ المحرِّك الكبير ليس للحياة الدينيَّة فقط؛ بلْ للحياةِ الإنسانيَّة في جميعِ جوانبها وهذا الموقف كانَ الدَّافع الأكبر في السَّعي وراء العلوم، إذ فتحَ الأبواب للوصول إلى المعارف الإنسانيَّة؛ فموقفُ الإسلام من العلم، كان العامل المؤثِّر في الإبداعِ المُبْكر للمسلمين، في ميادين العلوم: الطبيعيَّة، والكونيَّة، والحضاريَّة[٢].

يقولُ المفكِّر الغربي هاملتون جيب: "إنَّ عُلماءَ الدِّين في العالم الإسلامي هم الوحيدون القادرون على بعث الحضارة الإسلاميَّة، وتجديد المُجتمع في البُلدان المسلمة، ولا شكَّ أنَّ عُلماءَ الدِّين قادرون، على أَنْ يحركوا البواعث الكامنة في النِّفوس من جهةٍ، وأنْ يبيِّنوا للنَّاس ذلك الدِّين الحقيقي، الَّذي يبعثُ على تطويرهم من جهةٍ أُخرى"[٣].

ومنذُ بدء الدَّعوة الاسلاميَّة الَّتي تمثَّلتْ بنزول الوحي على المصطفى (صلى الله عليه واله وسلم)، إلى قيام الخلافة الرَّاشدة، ومن ثَّم: (الأمويَّة، والعباسيَّة)، مع كُلِّ الممالكِ والدِّول والدِّويلات، الَّتي قامتْ، إبان حكم الخلافات المذكورة كانتْ الحضارة الإسلاميَّة حضارةً تمزجُ بين العقل وبين الرَّوح، إذ امتازتْ عن كثيرٍ من الحضارات السَّابقة، الَّتي كانتْ عبارة عن مجرَّدِ إمبراطوريَّات ليس لها أساس من علمٍ ودينٍ،ولذا فقد ساعد التَّسامح الدِّيني في الاسلام، على خلق شبكةٍ متعدَّدةٍ من الثَّقافات، إذ تمَّ جذب المثقَّفين: (المسلمين، والنَّصارى، واليهود) ممَّا أتاحتْ هذه الحضارة أعظم فترةٍ، امتدَّتْ من (القرن الثَّامن، وحتَّى القرن الثَّالث عشر الميلادي)، إذ اعتنتْ بالطَّبابة وإنشاء المستشفيات، وتدريس العلوم؛ وهذا يدلُّ على اهتمام المسلمين بمظاهرِ الحضارة[٤].

حيث قامتْ الحضارةُ الإسلاميَّة على أساس مفهوم الإسلام، إذ أمدَّها القران بالرُّوحِ والهدف وضوابط العمل، وأعطاها القوَّة والتَّماسك والتحرَّر من الجِّمود والتحلُّل معاً، كما أنَّها اتَّسمتْ بالسَّماحة الإنسانيَّة والعالميَّة، وحرصتْ على حمايه المسلمين وغير المسلمين، واحترمتْ شعائرهم وفتحتْ طباعها الأصيل، وجمعتْ بين الدِّين والأخرة، وكان بناء الحياة والعمل فيها على أساسٍ من الأخلاق والتَّقوى والإخاء الإنساني.

١- فؤاد سيزكين: مكانُ المسلمين والعرب في تاريخ العلوم، مجلَّة الثَّقافة، عدد مارس- أبريل، لسنة ١٩٨٦، الجَّزائر، ص٣٦.

٢- يُنْظَرُ؛ هو محمَّد بن إسحاق بن محمَّد بن إسحاق المعروف بـ(ابن النَّديم): الفهرست، ط٢، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، ١٩٩٧، ص٢٥٥.

٣-الحضارةُ الإسلاميَّة (موسوعةُ المعرفة)، مُتاح على الموقع الإلكتروني: WWW.marefa.org، تاريخُ الزِّيارة: ٢٤/ ١/ ٢٠٢١.

٤- يُنْظَرُ؛ أنور الجُندي: الحضارةُ في مفهوم الإسلام، ط١، دار الأنصار، القاهرة، ١٩٧٩، ص٨.

وكما أنَّها ربطتْ "العلمَ بالدِّين والسِّياسية بالأخلاق، ومن هنا كانتْ حضارة الإسلام حضارةً جامعةً، وحضارة وسيطه، ولها أساسٌ ثابت، إذ أعطتْ حقَّ المرأة، ونظَّمتْ علاقه اليتامى والفقراء، وكرَّمتْ العلم وشرَّفتْ العقل، ولم تنسَ تكامل القلب؛ وهذا الطَّابعُ أعطائها بعداً خاصَّاً في اختلافها مع حضارات الغرب، واختلفتْ معها اختلافاً شديداً"[١].

أمَّا الرُّؤية القُرآنيَّة للحضارة؛ فقد "تمثَّلَ في الدَّور الَّذي أدَّاه الدِّين الإسلامي في تقويم المسلمين، إذ يُعَدُّ حقيقةً تاريخيَّةً لا يشكُّ فيها اثنان؛ فالقُرآن الكريم حرَّكَ طاقات الملايين من البشر في اتِّجاه العُمران والتقدُّم"[٢]، ونذكرُ في هذ المجال آيات مُشَكِّلة أساسيَّة في حقلِ المعرفة والعلم، وفي الحقل الاجتماعي والتَّربوي والشَّخصي[٣]، إذ قال تعالى: ﴿**أولئك الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا**﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿**لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ**﴾[٥].

كما جاءتْ الكثير من الآيات الَّتي تحاربُ الأفكار المنحرفة: ﴿**وَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[٧].

وما تقدَّم؛ يحسمُ الجِّدل والنِّقاش في قضَّة العلاقة بين الدِّين والحضارة، وبما يُثار في بعضِ الأجواء الَّتي تدعي أنَّ الدِّينَ عائقٌ، ويحولُ دون التقدَّم البشري، والتطوُّر الحضاري، محاولين الاستدلال على صحَّةِ هذه الأفكار؛ بأنَّ أوروبا لم تستطعْ التَّخلص من التخلُّف إلَّا بعد أَنْ تحرَّرتْ من هذا العائق، وأنَّ المسلمين هم الأكثر تخلَّفاً، لأنَّهم أكثرُ التزاماً بدينهم.

غير إنَّ الدِّراسات الَّتي أجراها عُلماء الاجتماع؛ تثبتُ بما لا يقبل الشكَّ أنَّ الدِّين ليسَ معوِّقاً للتقدُّم الحضاري؛ بلْ إنَّ جميع الأديان السماويَّة (اليهوديَّة، المسيحيَّة، الإسلام)، تحفِّزُ وتبعثُ وتدعو إلى التطوُّر الحضاري[٨].

١- أنور الجُندي: الحضارةُ في مفهوم الإسلام، المصدر السابق، ص٩.

٢- محمَّد تقي المُدرَّسي: الحضارةُ الإسلامية (آفاق وتطلُّعات)، ط١، مركز الإشعاع الإسلامي للدِّراسات والبحوث الإسلامية، قم، ١٤٢٧هـ، ص٣٢.

[٣] فلسفة العمل وفق المنظور الاسلامي،عمارباسم صالح،مجلة الثقافة العالمية،،١١،١٢٨.٢٠١٧.

٤- سورة مريم: الآية ٨٥.

٥- سورة الحديد: الآية ١٠.

٦- سورة البقرة: الآية ١٤١.

٧- سورة البقرة: الآية ١٧٠.

[٨] علم الاجتماع الديني،عمارباسم صالح،دار قنديل،بغداد،٤٣،٢٠٢٤.

رُبَّما توجدُ بعضُ المعوِّقات في بعض الدِّيانات؛ ولكن عندما نرجعُ إلى جذور هذه الدِّيانات، نجد إنَّها في الأغلبِ نقيَّة من هذا الادِّعاء، وأنَّ الأفكار المنحرفة تحوَّلتْ إلى جُزءٍ من تلك الدِّيانات بفعل مرورِ الزَّمنِ، وبأفكار المُحرَّفين[١].

النتائج

فلا بد من وقفة تأمل واستذكار لما حققه البحث من مقاصد وما توصل إليه من نتائج بعد أن اكتملت صورته بالشكل الذي رسمناه له، فأقول:

١- تعنى التربية بإعداد الإنسان إعداداً يتناول كل جانب من جوانب حياته الروحية، والعقلية، والجسدية، وحياته الدنيا، وما فيها من علاقات، ومصالح تربطه بغيره، وحياته الأخرى، وما قدم لها في حياته الدنيا من عمل فيجزى عليه فينال رضى ربه، أو غضبه.

٢-الحضارة مجموعةٍ من العقائد والمبادئ المنظِّمة للمجتمع، وتُمثّل ناتج النشاط البشري في مختلف المجالات كالعلوم والآداب والفنون، وما ينجم عن هذا النشاط من ميول قادرة على صياغة أساليب الحياة المختلفة، والأنماط السلوكيّة، والمناهج المختلفة في التفكير.

٣- التربية في المفهوم الإسلامي تستهدف جميع نزعات الإنسان الفردية، والاجتماعية، وتستهدف الحياة الدنيا والأخرى معاً في حين أن التربية في المفاهيم الأخرى نجدها قد أهملت هذه الجوانب جزئياً وكلياً.

٤- الحضارة الإسلاميّة هي مجموعة الجهود المبذولة من قِبَل العلماء المسلمين أدّت إلى إخراج نظريات ناجحة في التكنولوجيا والعلوم على مستوى العالم وسيطرت الحضارة الإسلاميّة على مجال العلوم.

٥- الحضارة نظام متكامل يشمل كل ما للانسان من افكار واراء واعمال واخلاق في حياته الفردية او العائلية او الاجتماعية او الاقتصادية او السياسية.

٦-العلاقاتُ الإنسانيَّة تتعلَّقُ بالتَّفاعل مع الأفراد في جميع أنواع المجالات، ويُشَاهدُ هذا التَّفاعل بصفةٍ عامَّة في تنظيمات العمل، إذ يرتبطُ الأفراد بنوعٍ من البناء والنِّظام الشَّكلي، في سبيل تحقيق هدفٍ مُعَيَّنٍ، من خلال التَّرابط والانسجام والتعاون فيما بينهم.

٧- إنَّ الدِّراسات الَّتي أجراها عُلماء الاجتماع؛ تثبتُ بما لا يقبل الشكَّ أنَّ الدِّين ليسَ معوِّقاً للتقدُّم الحضاري؛ بلْ إنَّ جميع الأديان السماويَّة ، تحفِّزُ وتبعثُ وتدعو إلى التطوُّر الحضاري.

٨-حضارة الإسلام حضارةً جامعةً، وحضارة وسيطه، ولها أساسٌ ثابت، إذ أعطتْ حقَّ المرأة، ونظَّمتْ علاقه اليتامى والفقراء، وكرَّمتْ العلم وشرَّفتْ العقل، ولم تنسَ تكامل القلب؛ وهذا الطَّابعُ أعطائها بعداً خاصَّاً في اختلافها مع حضارات الغرب، واختلفتْ معها اختلافاً شديداً.

١- محمد عمارة، ابو الاعلى المودودي والصحوة الاسلامية، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ص٢٣- ٢٤.

٩- الدين مجموع تعاليم بريد شاركها أن تصير عادة وخلقاً لطائفة من الناس، لتبعث فيهم الفضائل، والإحسان لأنفسهم، وللناس، وأهم هذه التعاليم محاسبة المرء نفسه في سلوكها،فالنفس الإنسانية إذن تحتاجُ إلى تربية مستمرّة، وتذكرة مستديمة، ووعظ هادف وموَجَّه، ودعوة صادقة.

المصادر

القران الكريم

١) ابو الاعلى المودودي والصحوة الاسلامية، محمد عمارة، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠١.

٢) اثر التكامل المعرفي في بناء العملية التربوية التعليمية، عمار باسم صالح، مجلة كلية العلوم الاسلامية،بغداد،٤٠،٢٠١٦.

٣) آيات قرآنية: ومضات من القرآن الكريم، غازي صبحي آقبيق، دمشق، دار الفكر، (د. ط، د. ت)،.

٤) الإيمان بالله في ضوء العلم والعقل، محمد رشدي، دار الملايين ـ بيروت، ١٩٩٦.

٥) بحار الانوار،المجلسي، تحقيق: السيد إبراهيم الميانجي و محمد الباقر البهبودي،ط٣، دار الفكر،بيروت، ١٩٨٣ م.

٦) تاريخ الحضارة الإسلاميَّة والفكر الإسلامي، أبو زيد شبلي: مكتبة وهبة للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، القاهرة، ٢٠١٣.

٧) التنجيز والتعذير في الدرس الاصولي، ضياء الدين حمزة، مجلة مركز احياء التراث العلمي العربي،اذار،٢٠٢١،العدد٤٨.

٨) تيسيرُ العزيز الحميد في شرح كتاب التَّوحيد، سليمان بن عبد الله بن محمَّد: دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠٨.

٩) جامع البيان في تأويل آي القرآن، ابو جعفر محمد بن جرير الطبري: بيروت، دار الفكر،١٩٩٩.

١٠) الحضارةُ الإسلامية (آفاق وتطلُّعات)، محمَّد تقي المُدرَّسي: مركز الإشعاع الإسلامي للدِّراسات والبحوث الإسلامية، قم، ١٤٢٧هـ.

[١١] الحضارةُ في مفهوم الإسلام، انور الجندي، دار الأنصار، القاهرة، ١٩٧٩.

١٢) حوار الفكر الديني والفكر المادي، احمد زكي تفاحه، دار الكتب اللبناني، بيروت، ١٤٠١هـ، .

١٣) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب ومن عاصرهم، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨.

١٤) سير اعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي،،تحقيق: شعيب الارنؤوط و محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ،ط٣،١٤٠٥هـ،١٩٨٥م.

١٥) الشرح الكبير ،أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري الرافعي، تحقيق: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف القاهرة، ١٩٧٧.

١٦) عقيدة الاستخلاف واثرها في الحفاظ على الملكية في الفكر الاسلامي،د.عمارباسم صالح،اسماء عبد الجبار ،مجلة كلية العلوم الاسلامية/بغداد/٢٠١٥/٤٢/٣٩٨-٤٢٩.

١٧) العلاقات الإنسانية، سيد عبد الحميد مرسي، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٦م.

١٨) علم الاجتماع الديني،عمارباسم صالح،دار قناديل،بغداد،٢٠٢٤.

١٩) علم النَّفس الاجتماعي، محمَّد أبو العُلا احمد: مكتبة عين شمس، القاهرة، ١٩٩٩.

٢٠) عمليَّة النَّهوض الحضاري، كريم جبر الحسن:، دار الهادي، بيروت، ١٩٩٣

٢١) الفكر الشِّيعي في مواجهة الاتِّجاه التعدُّدي، عدنان حسَّاني الرَّميثي: دار الكفيل، مكتبةُ أهل الحقِّ، النَّجف الأشرف، ٢٠١٤.

٢٢) فلسفة العمل وفق المنظور الاسلامي،عمارباسم صالح،مجلة الثقافة العالمية،٩،٢٠٢٤.

٢٣) الفهرست، محمَّد بن إسحاق بن محمَّد بن إسحاق المعروف بـ(ابن النَّديم)، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، ١٩٩٧.

٢٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار القلم، بيروت، ١٩٨٤.

٢٥) القرآن والطبائع الإنسانية، علي محمد حسن العماري، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ١٩٩٦

٢٦) قصَّةُ الحضارة، ويل ديورانت، ط١، ترجمة: زكي نجيب محفوظ، دار الجِّيل للطِّبع والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، ٢٠١٠.

٢٧) لسان العرب، جمال الدين ابي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور، حققه عامر احمد حيدر، مراجعة عبد المنعم خليل ابراهيم، ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩م.

٢٨) المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل والمعروف بابن سيده المرسي،دار الفكر ،بيروت،١٩٨٨.

٢٩) مختار الصحاح، محمد بن ابي بكر الرازي،دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ١٤٠١هـ،١٩٨١م.

٣٠) المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ١٩٩٦ .

٣١) المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ط٢،٢٠١٠م.

٣٢) معالمٌ في الطَّريق، سيد قطب: دار الشَّروق، القاهرة، ١٣٩٩هـ.
٣٣) مفردات ألفاظ القُرآن، أبو القاسم الحسين بن محمَّد (الرَّاغب الأصفهاني): دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٥.
٣٤) المُقَدِّمة، عبد الرَّحمن بن محمَّد بن خلدون:، دار القلم، بيروت، ١٩٨٤.
٣٥) مكانُ المسلمين والعرب في تاريخ العلوم، فؤاد سيزكين: مجلَّة الثَّقافة،الجزائر عدد مارس– أبريل، لسنة ١٩٨٦.
٣٦) منهجُ الحضارة الإنسانيَّة في القُران، محمَّد سعيد رمضان البوطي: دار الفكر المعاصر، دمشق، ٢٠٢٠.
٣٧) نهج البلاغة، صبحي الصالح، مطبعة وفا،بغداد،٢٠٠١..
٣٨) نهج البلاغة، عباس الموسوي، الجامع له الشريف الرضي، دار الهادي للطباعة والنشر ،العراق،٢٠٠٩ م.